

المصبر الصخفاغ الميساناء للثورة الجزائرية "اللس الثقافغ الثورغ فغج مبلغ (دعوة الحق) أنموذجا"

أ.د حفيظ ملواني

جامعة البليدة 02- الجزائر

ملخص:

يأتي هذا الجهد العلمي في سياق فهم العمل الأدبي ضمن بعده الثوري في سياق الدور الاعلامي عبر اشتغال الأداة الإعلامية المغربية المعيرة عن صوت الثورة الجزائرية عبر نموذج الصحيفة المغربية الموسومة بـ "دعوة الحق" التي ظهرت في نهاية الخمسينات من القرن الماضي حيث اعتنت بشؤون الثورة الجزائرية من الناحية السياسية و الثقافية مع إعطاء الرعاية خاصة للإبداع العربي الذي كان يحكي عن أمجاد ثورتنا المظفرة أول نوفمبر 54.

Abstract:

This scientific effort comes in the context of understanding the literary work within its revolutionary dimension in the framework of the role of the Media through Maghreb means of information that expresses the Algerian revolution voice via the example of a Moroccan newspaper called: "Dawat El Haq" (right call). It was created at the late 50s of the previous century, it takes care of the Algerian Revolution affairs on political and cultural levels. At the same time, it deals, in particular, with Arab creativity that tells about our triumphal revolution's glories that broke out on November 01st, 1954.

توطئة:

لا يمكن قراءة الحقيقة الإبداعية وربطها بالطبيعة الثورية ضمن حدود العمل الأدبي، ما لم تتسع الرؤية إلى نطاق العوامل الثقافية التي صنعت هذا الاهتمام؛ وأبرزت هذا التوجه لدى المثقف العربي على العموم والمغربي على وجه الخصوص؛ وهو يواكب المسارات النضالية التي خاضها الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي، وتحقيقا لهذا المطلب العلمي وقع الخيار على مجلة مغربية عريقة ظهرت على الساحة الإعلامية سنة 1957 برعاية وزارة الأوقاف المغربية آنذاك؛ ينصب اهتمامها بالجانب الوعظي الديني وفي الوقت ذاته بالقضايا الاجتماعية والثقافية التي تجمع بين البعد الفكري والأدبي شعرا ونثرا على حد سواء، كما تسعى هذه العناية البحثية إلى تبيين أثر الوقع الجزائري الثوري في نتاج معالجات هذه المجلة ضمن ثلاثة محاور مركزية وهي المحور السياسي والثقافي والأدبي.

1- المحور السياسي

لقد نشر الشيخ الرحالي الفاروقي وهو أحد علماء المغرب الأجلاء (1897-1985) مقالة في العدد الأول من المجلة (دعوة الحق) يحمل عنوان "استقلال جميع العرب هو الكفيل بحفظ مصالح العرب" فيستهل موضوعه بقوله " ليس للحياة من مزية واعتبار إلا عند ما يشعر المرء بعزة قومه وكرامة

وطنه⁽¹⁾ إنه حس وطني ثوري يعكس حقيقة الانتماء الحضاري والديني للفرد ويتأكد ذلك بدرجة الوعي السياسي وثقل المسؤولية الأخلاقية التي تقف على كاهل كل عربي من خلال موقف هذا العالم وهو يتحدث عن الجزائر المجاهدة فيقول «وما دام شعب الجزائر وهو بين المغرب وتونس منغمرا في معركة حياة الحرية والغاصب مكابرا ومعاندا في هذا الحق، فالاستقلال لم ينته بعد، والمعركة مازالت مستمرة»⁽²⁾ هذا لا يعبر عن مبدأ التضامن الأخوي فحسب وإنما هو إشادة واضحة بعظمة هذه الثورة التي تجابه إحدى أكبر القوات الاستعمارية في العالم وفي العدد نفسه يضيف الكاتب والأديب المغربي المرموق صاحب عدة مؤلفات تراوحت بين الإبداع القصصي والشعري ألا وهو عبد المجيد بن جلون (1919-1981) (*) ضمن الصفحة السياسية للمجلة التي عنوانها بالأزمنة المزمنا على ضوء مقارنة تحليلية واعدة تقرأ الراهن بعدة استشرافية تربط بين شرطية استقرار فرنسا القائم على مطلب استقلال الجزائر وفي هذا الصدد يقول الكاتب المغربي عبد المجيد بن جلون: «والمشكلة الكبرى التي لا يجرؤ أحد من رؤساء الحكم في فرنسا على مواجهتها بشجاعة، هي مشكلة الجزائر، وحل قضية الجزائر أصبح مرتبطا بحل مشكلة فرنسا كلها،

⁽¹⁾ الرحالي الفاروقي. استقلال جميع العرب هو الكفيل بحفظ مصالح العرب. مجلة دعوة الحق. العدد الأول. جويلية 1957. مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط. ص 28.

⁽²⁾ المصدر نفسه. ص 28.

(*) أعماله الأدبية وادي الدماء (قصص)، (هذه مراكش)، (مارس استقلالك)، (براعم) (ديوان شعري)، وسيرته الذاتية (في الطفولة).

لأن الحرب في القطر الشقيق تكلف الحكومة الفرنسية مليارا ونصفا من الفرنكات يوميا، ومعنى هذا، التضارب المستمر بين هدفين. أحدهما: الاحتفاظ بالجزائر والإصرار على ذلك لتملق النخوة القومية الموهومة. وثانيهما: تملق الشعب بالتخفيف من الضرائب وتيسير وسائل الحياة، وهو هدف لا يمكن تحقيقه إلا إذا وجد من يستطيع مجابهة الشعب بالوقائع الملموسة. والهدفان معا بالإضافة إلى تضاربهما مستحيلا التحقيق معا، لأن القضاء على الثورة في الجزائر بعد هذه المدة الطويلة ضرب من الوهم، لا يعادله سوى المطالبة بتخفيف الضرائب مع الإصرار على تحمل نفقات الحرب الباهظة التي أخذ الاحتياط الفرنسي نفسه يتأثر به تأثرا خطيرا. «⁽¹⁾؛ معنى ذلك أنه يريد أن يوجّه رسالة واضحة المعالم إلى الاحتلال الفرنسي مفادها في ظل وجود روح المقاومة والتضحية من طرف المظلوم لا يتسنى للظالم أن يحقق أمنه ومبلغ طموحه بالمفهوم السياسي والاقتصادي لدولة تدّعي لنفسها أنها مصدر الحضارة والمبادئ الإنسانية المسالمة. كما يطلعنا في هذا السياق الشيخ الفقيه والإعلامي الموريتاني محمد المحفوظ (1934-2006)^(*) ضمن مقال يكتسي أهمية بالغة

⁽¹⁾ عبد المجيد بن جلون. الأزمنة المزمنة. المصدر نفسه. ص 35 .

^(*) اسمه الكامل محمد محفوظ ولد محمد الأمين ابن أب التتواجيوي من مواليد سنة 1934 الموافق لـ 1356 هـ محمد الأمين ابن اب التتواجيوي في الحوض الشرقي عند موضع يسمى "علب البل" شمال مقاطعة تمبذغة كما حفظ القرآن وتلقى تعليمه الأولي في مدينة نشأته، و ما إن عرف نعمة الشباب توجه إلى مدينة ولاتة التاريخية طالبا التزود من علمائها، إذ كان يفتد إليها الطلاب من كل حدب وصوب طلبا للعلم، فدرس فيها باقي المتون في علوم الشرع : كتخفة الحكام لابن عاصم، ومرتقى الوصول لابن عاصم، ومراقى السعود، وألفية السيوطي

يحمل عنوان " الثورة الجزائرية تستقبل عامها السادس " ضمن عمود قار موسوم بـ "الجزائر في طريق الاستقلال" ما جاء فيه على وجه الإشارة "رُفرف الجناحان (في حفظ الله) وبقيت الجزائر تصول في الميدان، صامدة في وجه الاستعمار الفرنسي الذي أدرك أن الأمر جد، فحشر ما استطاع من القوة المدججة بأحدث الأسلحة التي أخرجتها مصانع الحلف الأطلسي، واستعان بأحدث الخطط الإبادية التي تفتقت عنها أدمغة الاستعماريين الفرنسيين ومن سبقهم من النازيين والفاشستيين... وزادت الجزائر الأحداث المختلفة، قوة في الصمود، وعنفا في النضال من أجل الكرامة والحرية والاستقلال، معتمدة -بعد الله الكريم- على جبهتها وجيش تحريرها، وعلى أشقائها في المغرب وتونس، وكافة أبناء العرب، شاكرة لإخواننا الإفريقيين والأسيويين مواقفهم الإنسانية وتأبيدهم الأدبي... في الوقت الذي يبدأ فيه الشعب الجزائري كل ما يستطيع

في النحو، وألفية، إلى غير ذلك من المتون التي تدرس في ولاتة ولأسباب سياسية غادر وطنه مع بعض زملائه وشيوخه، متوجهين في الأصل إلى البلاد المقدسة، ونتيجة للأوضاع التي تعيشها المنطقة يومئذ جراء حرب التحرير الجزائرية لم يستطع الشيخ الذهاب إلى البلاد المقدسة فقرر الإقامة في المغرب ريثما يجد السبيل إلى وجهته الأصلية، ودخل جامع القرويين رغم أن الفنون المقررة فيه قد درسها من قبل مع اعترافه بتوفر مصادر ومراجع لم تتوفر له من قبل خصوصا علم المنطق الذي لم يجد له شروحا إلا في المغرب وكانت الفرصة السانحة لن يلتقي بكبار علماء المغرب ومثقفها آنذاك من أمثال المختار السوسي، وعلال الفاسي، وغيرهم ثم بعد افتتاح جامعة محمد الخامس سجل فيها. وهي أول جامعة في المغرب. ودرس بها الفقه المقارن، والاقتصاد السياسي، والقانون قبل وفاته ترك ما يناهز ثمانين مؤلفا في الفقه والفلسفة والقانون والأدب.

من تضحيات غالية، ودماء غزيرة، شارك فيها بسخاء بناته وأبناؤه ونساؤه ورجاله وشيوخه وشبابه... كان الجانب الفرنسي رغم ما اتسم به من فخفة وكبرياء، ورغم ما استعمله من قسوة ووحشية لم يعرف التاريخ -في أيامه المظلمة- مثيلاً لها من قبل، أقول كانت حكوماته تتساقط كأوراق الخريف.. وكان الديمقراطية الفرنسية نفسها - التي كانت على عهد الحرب الصينية تكثر من الإضراب والمظاهرات - انكشفت حقيقتها، وانفضح أمرها، فتمسكت بجانب الصمت والجمود أمام هذه الحرب الإجرامية التي يكابد قساوتها أبناء الجزائر من أجل رفع لواء الحرية وتقوية سواد الديمقراطيين في أنحاء العالم"⁽¹⁾ فالباحث عارف ما ينتظر الثورة الجزائرية من تحديات راهنة ومستقبلية دون الاستهانة بحجم التضحيات التي دفعتها والإنجازات التي حققتها على الصعيدين السياسي والعسكري على حد سواء؛ من موقع يجعل المعتدي الغاصب يتراجع عن مطامعه ويتنازل إزاء مكتسباته العدوانية السابقة بالرغم من جرده وحرصه على السير إلى الأمام بحلم القضاء على هذه الثورة المجيدة بالنسبة إليه وهو أمر يكذبه الواقع لأنه دخل في قيد الاستحالة، وفي السياق نفسه يتطرق الأستاذ أحمد مراد إلى قصة تاريخ الجزائر مع المحتل الفرنسي يعنونه بـ "ذكرى احتلال الجزائر" جاء فيه "ففي مثل هذا اليوم انتهكت عصابة من الفرنسيين المتشبعين بروح التعصب والعنصرية حرمة السيادة الجزائرية، وانقضوا على العب الجزائري الوداع، كما ينقض الحيوان المفترس الجائع على الضحية

⁽¹⁾ محمد المحفوظ. الثورة الجزائرية تستقبل عامها السادس. المصدر نفسه. ص 63.

العزلاء...فينشب فيها مخالفه الحادة، ويزقها أربا إربا...ذلك ما اقترفته فرنسا ضد الجزائر منذ سنة ألف وثمانمائة وثلاثين، وواصلته بوحشية وشراسة إلى يوم الناس هذا..."⁽¹⁾ لقد أبرز الأستاذ حقائق تاريخية وحضارية مرتبطة بكيان الدولة الجزائرية التي واجهت في عمق التاريخ كافة الأشكال الاستعمارية ومن ثمة يكشف عن قناع المحتل وأغراضه التوسعية بالرغم من جميل الجزائر إزاء فرنسا في شأن المؤونة المالية، ليخلص بقوله: «ونود أن نختم هذا العرض التاريخي بالإشارة إلى ما ينبغي للعرب عامة، وأبناء المغرب العربي خاصة أن يستخلصوه من هذه الذكرى من العبر والمثلات، عسى أن يحفزهم ذلك إلى التعاون الحقيقي، والتضامن الفعال من أجل مواصلة النضال المشترك في جميع المجالات، حتى يتحرر كل جزء من أرضهم، ويسترجعوا كامل سيادتهم في أوطانهم "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"»⁽²⁾ ما يوضح بأن الدفاع عن الجزائر هو دفاع عن حرمة القطر المغاربي ومنه يتعين على كل دولة مغاربية أن تساهم في التمسك بهذا المبدأ وتجسيده على أرض الواقع.

2-المحور الثقافي:

لقد ورد في كلمة العدد السادس من مجلة دعوة الحق الصادرة سنة 1959 تصور يفيد بضرورة ربط فعالية مفهوم الثقافة بدور المتقف على قدر

⁽¹⁾ أحمد مراد. ذكرى احتلال الجزائر. المصدر نفسه. العدد 10 جويلية 1960. ص 101.

⁽²⁾ كلمة العدد. المصدر نفسه. ص 106 .

تواصله بواقع مجتمعه وقضاياه ويبدو ذلك جليا من خلال هذه التساؤلات " هل المعرفة غاية في حد ذاتها؟ هل ينبغي لطالب الثقافة أن يجعل كل همه منها صقل مواهبه وتوسعة مجال إدراكه ثم لا شيء بعد ذلك؟ هل يكفي لكي يذيع الإنسان عالما أو مثقفا أو أديبا أو فكار أن يحيط بعض المعلومات ويقرأ بعض الكتب، ثم يعتزل العالم في «برج عاج» ليمضغ أضغاث أحلامه، ويجتر تفكيره المجرد، ويتملى بنشوة النظر إلى القصور السحرية الخيالية التي يبنيها لنفسه في الهواء؟؟؟ أم أن على المثقف أن ينزل بثقافته إلى معترك الحياة العملية، وان يخوض بها في كل ما يخوض فيه الناس، وان يشارك بها في الخصومات السياسية، والخلافات المذهبية أو النزاعات الشخصية أو ما إلى ذلك؟⁽¹⁾ إذا يفترض هذا المنحى الاعتناء بمسألة الثقافة ليس من قبيل أنها تتشكل في الواقع الإنساني الحياتي عبر سلوكات يومية، تبدو عادية في إطار متطلبات العيش الكريم لفرد فقط بل لها من النفوذ أن تجد لنفسها حظا نخبويا عند ترتمس في البنيات الذهنية وتشتغل على نسق الأفكار التي تبتدعها ولها أن تصير مشروعا فكريا قائما بذاته له خصوصياته وأولوياته انطلاقا من الماضي وأخذا برهان الحاضر وتطلعا إلى المستقبل، فضمن هذا المسار الخطي الزمني ستترسخ حدود الهوية حتى يتميز الفرد ويتحقق بذلك كيان المجتمع كأن تقول هذا مجتمع أوروبي يتضح ضمن البعد الديني واللغوي بحسب النمط الفكري الذي يشتغل عليه بالمقابل فنقول هذا مجتمع عربي مسلم له نظام وعي يخصه يساهم

⁽¹⁾ المصدر نفسه. ع6 مارس 1959. ص 1-3.

في إبراز وجوده كنظام اجتماعي مختلف عن الأوروبي كما أن في واقع الاحتلال قد نكتشف نوعا من الصراع الثقافي الحاصل بين ثقافة المستعمر المهيمنة عبر النموذج الفرنسي وثقافة الطرف الواقع تحت سلطة هذا الاحتلال ونعني به ثقافة المجتمع الجزائري الذي ينساق مع ثقافة ولدته أو هي متجانسة معه تحت مسمى الثقافة العربية الإسلامية مع الإشارة إلى كون الثقافة المهيمن عليها ليست " ثقافة مستلبة، تابعة كليا. إنها ثقافة لا يمكنها في مسار تطورها، ألا تأخذ بعين الاعتبار الثقافة المهيمنة "⁽¹⁾ وعليه سنكتشف أن الفكر الثقافي العربي يستجيب بطريقة آلية إلى ما يعزز وجود الشعب الجزائري كجزء لا ينفصل عن المجتمع العربي في عمومه والمجتمع الجزائري على وجه التحديد وهذا ما قد تعكسه الرؤى الفكرية الماثلة في ثنايا هذه العينة من المقالات المنتقاة، فقد نجد وجها يعرف بالنتاج الثقافي الفكري الجزائري في مقابل كيف ينظر المثقف الفرنسي وهو يرتدي قناع المستعمر إلى الوضعية الثقافية التي يعيشها الشعب الجزائري وهو يعاني من ويلاته.

وتبعا لخيار التعريف بالثقافة الجزائرية من خلال رجالها ذكرت المجلة عددا من الشخصيات المثقفة المؤمنة بفكرة مشروعية النضال من مستوى المقاومة إلى الإصلاح إلى الثورة، يشير في هذا السياق الأستاذ عبد القادر القادري إلى ذكرى وفاة الأمير عبد القادر من خلال عرض مسيرة حياته الجهادية والثقافية من

⁽¹⁾ دنيس كوش. تر: منير السعيداني. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. المنظمة العربية للترجمة بيروت ط 1 مارس 2007. ص 121.

خلال عنوان يشهر بالبند العريض اسم البطل "عبد القادر بن محي الدين الحسيني" ليقف عند فكرة مركزية مفادها "وهاهم أشباله يواصلون منذ نوفمبر سنة 1954 ثورتهم المباركة، التي هي امتداد لثورته الكبرى التي بدأها هذا البطل الإفريقي، منذ أكثر من 127 سنة ولن تنتهي إلا بانتصار الجزائر إن شاء الله" (1) وللاعتبار نفسه يتطرق أحمد مراد إلى عالمنا الجليل رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر ألا وهو الإمام الراحل ابن باديس حيث تستوقفه فكرة "ولا يمكن أن نذكر اليوم كفاح أبناء الشعب الجزائري دون أن نتذكر ما بذله ابن باديس من جهود جبارة في إعداد التربة الخصبة الصالحة لغرس بذور المبادئ الوطنية النامية في نفوس أبناء الجزائر، وإعداد جيل من الشباب الواعي، المؤمن بعظمة دينه ولغته وتاريخه، العامل لاسترجاع حرية وطنه واستقلال بلاده" (2) أما الأستاذ عبد السلام الهراس فتعرض إلى فكر مالك بن نبي عبر النافذة الثقافية الموسومة بـ "مطالعات وآراء" ليس من قبيل عرض فلسفة أفكاره في شأن الحضارة فحسب بل رسم علاقته بالمستعمر فمن باب التقدير يقول: « ولم يكن أستاذنا مالك بمعزل عن المراقبة الاستعمارية، التي تفتنت لنبوغه واتجاهه الفكري وعقيدته الراسخة. وموقف الاستعمار من هؤلاء الشخصيات الفريدة يتسم أول الأمر بالمؤامرات الثقافية بالدهاء التربوي، حتى يستطيع أن يجعل منها «وسيلة» فعالة بارزة لخدمة أغراضه على مستوى

(1) عبد القادر القادري. عبد القادر بن محي الدين الحسيني. مجلة دعوة الحق. العدد 10 أبريل 1958. ص 36.

(2) أحمد مراد. ذكرى خالدة. المصدر نفسه. العدد 8. ماي سنة 1959. ص 57.

عال. فإذا لم تجد الدهاء الثقافي والمكر السلمي، التجأ إلى سياسة التضيق والتئيس والخنق، وقد يلجأ أخيراً إلى القتل. ويتخذ لخدمة هذه الأغراض، جلة العلماء والأخصائيين، لأن استيلاء على القادة والمقودين معا⁽¹⁾ ولعل هذا المنحى يفسر علة معاناة المفكر الجزائري وهو يواجه مخططات المستعمر التي انطلقت من الإغراء ثم تحولت إلى المضايقة إلى حدود الإيقاع به أي دفعه نحو مغادرة الوطن وهو ما حصل بالفعل عندما التحق القاهرة في سبيل بناء حس مقاوم جديد ووعي ثاقب حتى يؤسس مشروعه الفكري الحضاري الكاشف لخبايا الاحتلال ومؤامراته الدنيئة على الأمة العربية والإسلامية، لم تقف المعالجات الثقافية للمجلة في هذا النطاق بل تطرقت إلى بعض الإشكالات التي تمس الجزائر في مستوى الثقافة وعلى وجه التحديد ما له علاقة بأزمة الهوية التي يريد أن يثيرها المستعمر والمتعلقة بعروبة الجزائر، على نحو ما صدر من الأستاذ إدريس الكتاني من موقع الرؤية المغاربية في مقال عنوانه " **مشاكل القومية في المغرب العربي** " وهو يستعرض العوائق الاستعمارية الفرنسية التي تريد أن تنال من وحدته جغرافيا ولغويا وثقافيا ومنه المساس بالعنصر القومي الذي يجمع أقطار المغرب العربي في كنف الحضارة العربية الإسلامية فيقول في هذا الصدد: « **منذ انعقد بالقاهرة مؤتمر المغرب العربي في فبراير 1947** وهذا الاسم «المغرب العربي» هو الذي تستعمله الحركات الوطنية في الصحافة والإذاعة والخطب الرسمية، بل انه نفس الاسم الذي تستعمله الصحافة

⁽¹⁾ المصدر نفسه. عبد السلام الهراس. مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة ومشكلات الحضارة". المصدر نفسه. العدد ص75.

الفرنسية الحرة، بينما تعدل عنه الصحافة الاستعمارية إلى اسم «المغرب الكبير» حتى لا تعترف ضمناً بعروبة الجزائر في الوقت الذي تؤكد فيه أنها فرنسية»⁽¹⁾ ولعل من المفيد ثقافياً أن تستعرض مجلة دعوة الحق نقلاً عن كتاب جماعي عنوانه "القضية الجزائرية" شاركت فيه عدد من شخصيات ثقافية مرموقة آنذاك* وهي تبدي رأيها في كفاح الثورة الجزائرية عبر سؤالين محوريين وهم: «هل للجزائريين الحق في متابعة كفاحهم الوطني؟ وهل مجرى التاريخ يبرر موقفهم اليوم؟»⁽²⁾ طبعاً تقديم هذا السؤال لأي مواطن عربي سيكون الرد بالضرورة إيجاباً لكن بالنسبة للمتقف الفرنسي هل يمكن أن يتفهم الوضع في هذا السياق يمكن متابعة ما يحقق هذا المطلب انطلاقاً من فكرة شخصية هنري إريني مارو (Henri Irénée Marrou) باعتباره أستاذاً جامعياً متخصصاً في التاريخ حيث يقول فيما معناه: «إن الجزائر دخلت هي الأخرى في مجرى التاريخ وإن فرنسا - مهما فعلت - فسوف يدركها هي الأخرى التيار الجديد الذي عم جميع الدول الكبرى الأوروبية التي أخذت - أو بالأحرى أرغمت - على أن تتجرد من الروح الاستعمارية القديمة»....، وينبغي أن لا نفهم أن تحرير الشعوب المستعمرة معناه التخلي والانحطاط لأوروبا. فبالعكس ينبغي أن نرى في هذا التحرير نجاح المهمة التي كلفنا بها أنفسنا أمام هذه الشعوب. إن أوروبا سوف

⁽¹⁾ إدريس الكتاني. مشاكل القومية العربية. المصدر نفسه. العدد 10 جويلية 1959 ص 67.

^(*) جان دريسن «وشارل أندري جوليان» «وهانري مارو» و«الفريد سوقي» و«ببير ستيب».

⁽²⁾ صاحب المقال المكنى بـ أبو زهير. القضية الجزائرية في رأي خمسة من أشهر رجال العلم والسياسة بفرنسا المصدر نفسه. العدد 4 جانفي 1960. ص 61.

لا تريح شيئاً إذا استمرت في موقف الوصي الذي يأبى أن يعترف لمن هو تحت وصايته بالبلوغ أو كالأب الذي مازال يعامل ولده البالغ كما كان يعامله في صغره. وهذا ليس معناه أن الاستعمار نجح تماماً في مهمته بل هناك مقارنة بين الماضي والحاضر تبين لنا خيبة الاستعمار الأوروبي»⁽¹⁾ ربما قراءة وجيزة لموقف هذه الشخصية سيظهر بأن المثقف عندما يتحرك بوعي حضاري وتاريخي غير قادر أن يتحرك عكس مسار التاريخ عندما تتعرض الشعوب للاستعمار فمهما طال الزمن فسبيلها الشرعي هو المقاومة المستميتة حتى تتحرر أرضها المغتصبة، إنه تصور لا يحتاج إلى فلسفة ولا إلى إقناع ما يعلل أن هانري مارو أخذ العبرة من التاريخ الأوروبي ذاته ونظر إلى الواقع فكانت رؤية نستطيع أن نعتبرها حيادية وعقلانية مجدية دون نفاق ولعل أفضل ما يمهد للمحور الأدبي، ما أسفر عنه الخبر الثقافي المتعلق بـ "مهرجان الشعر بدمشق" الذي انعقد من 16 إلى 21 ماي من سنة 1959 حيث كشف مراسل المجلة أنه تمّ توجيه " الدعوة إلى الجزائر وفلسطين. إلى لبنان والسودان. وتوجيه الدعوة إلى الجزائر وفلسطين فيها من تعزيز الأولى. ومواساة الثانية ما بكل عن وصفه البيان. وأي محفل لم تذكر فيه فلسطين؟ بل قل، هل تقوم لمحفل قائم من غير أن تقوم فيه فلسطين تهيب بالعرب أن يستردوا أرضهم السليبية. وتقوم فيه الجزائر تحذر العرب أن يجعلوا منها فلسطين ثانية. كلتا القضيتين تخدمان بعضهما وتخدمان العرب جميعاً. فلسطين تضع نفسها موضع العبرة

⁽¹⁾ نقلا عن المصدر نفسه. ص61.

والتجربة حتى لا تتكرر مأساتها في الجزائر، والجزائر تقدم من بطولتها النادرة ما يمكن للعرب أن يستردوا به فلسطين إن هم لم يتوانوا عن تعزيزها. وللعرب في كلا البلدين، وفي كلتا الواجهتين المجد والسؤدد. ولأمر ما كانت القضيتان إحداهما في المشرق والأخرى في المغرب. ليمثلا مجد العرب بجناحي بلاد العروبة، الشرقي والغربي. وقبل أن توجه الدعوة رسميا إلى الجزائر كانت الجزائر قد فرضت وجودها طبيعيا وفطريا فهي الثورة البطولية التي تعيش على طرف كل لسان، وتخفق معها نبضة كل قلب. وتجري من كل عربي مجرى الدم في عروقه. فلم تخل قصيدة ولا كلمة ألقىت في المهرجان من الإشارة إلى هذه الثورة الزاحفة والإشادة ببطولتها النادرة. مما برهن على أن إخواننا في العروبة يعيشون آمالنا. ويتقصدون الآمناء، ولا تأخذهم في السهر علينا سنة أو غفلة⁽¹⁾ هكذا يتضح بأن مقوم الثقافة هو الذي يحرك الوعي السياسي ويشيد البناء الفكري والحضاري لأية أمة لا تريد أن تستقيل عن التاريخ وهو ما يصدق على أجيال المقاومة الشعبية والثورة المضفرة على حد سواء.

3- الملمور الأدبي؛:

لو أردنا تحديد المفهوم الأصلي لكلمة أدب (*Littérature*) من منطلقه اللاتيني لتيراتورا (*Litteratura*) فهو يحتضن كل خطاب مكتوب على أن يحمل في

⁽¹⁾ المصدر نفسه. أبو عبد الله صالح الجزائري. الجزائر في مهرجان الشعر بدمشق. ص 76.

طياته ويحقق من غاياته قيمة خلقية أو فلسفية أو جمالية⁽¹⁾؛ ما يعني بمنطق هذا التحليل أن ما كتب في عهد الثورة كله يعد من أدب المقاومة فالمقاومة هي 'ضرورة إنسانية فطرية، بقدر ما هي حاجة ماسة للذود عن الكيان وحماية الوجود الحسي والمعنوي لإنسان المتحضر، ولا تكون المقاومة إلا وليدة الحيوية واليقظة ودليل الإحساس والشعور في الأفراد والجماعات والشعوب" ⁽²⁾

إن المنحى الأدبي يعكس اهتمام الأديب بقضايا أمته تجاوزا للقطرية في نطاق مصير مشترك ومحتوم في ظل روح وجدانية عفوية أي الجرح واحد، فلا يتكلف أي شاعر عربي وعلى وجه أخص المغاربي بأن ينظم قصيدة تعبر عن آلامه من سطوة احتلال فرنسا إلى الجزائر يقول الكاتب المغربي والأكاديمي أحمد المديني «إن الأدباء المغاربة، في كل أو في جل ما نظموا من شعر إبان الحماية وما نسجوه من نثر بين مقال وقص إلى جانب خطبهم البليغة في المناسبات وضعوا احتلال الجزائر الشقيقة ومعاناة أهلها، في قلب المضامين التي يطرقون تلميحا تارة وتصريحا أخرى»⁽³⁾ يتطرق الكاتب والناقد المصري إلى معالجته النظرية لأدب المقاومة من خلال مقال سماه بـ *أدب المقاومة والتجمع في الأدب العربي الحديث* " نشر في مجلة دعوة الحق مما جاء فيه

¹⁾Jean Dubois et autres .Dictionnaire du Français contemporain-Larousse- Ed Librairie Larousse Paris 1980 .p685

⁽²⁾ أحمد مراد. مقاومة إنسانية. مجلة دعوة الحق. العدد 9. جويلية سنة 1960. ص 85.

⁽³⁾ أحمد المديني. حضور الثورة الجزائرية في الوجدان الأدبي بالمغرب. مجلة الثقافة ع 15 جانفي 2007 الجزائر. ص 34.

قوله: « ولعل الأدب العربي لم يتأثر بحدث كما تأثر بمأساة فلسطين وحرب التحرير الجزائرية، فصور في الأولى حقيقة الغدر الغربي وحمل صورة الحقد والثأر وعبأ الشعور»⁽¹⁾ يضيف من زاوية أخرى في تحليله لصلة عظمة الثورة الجزائرية وروعة الأدب الذي يحكي عنها بجميع التمثلات وأشكال التعبير الفنية؛ بقوله: «وكان أدب معركة التحرير الجزائرية عنوانا على الأيمان بحق الجزائر في الحياة، ودفاعا عن روحها وتصويرا لبطولتها القوية في المقاومة والاستشهاد وهو أدب اشترك فيه كل قطر عربي وامتزجت فيه صورة فلسطين المضيفة، بالجزائر التي تصمد المقاومة والحرب وتقدم الشهداء والضحايا»⁽²⁾ كما لا يسعنا من خلال هذه الالتفاتة الأدبية أن نحيط بمقاطع شعرية خلدت ثورتنا العظيمة في مجلة دعوة الحق، نستهل بقصيدة تعبّر عن حقيقة اندلاع الثورة وقوتها فتحفر أثرها عبر لغة السلاح والتحدي بعنوان "صرخة الجزائر" جاءت من شاعر مغوار اسمه محمد الحلوي هو ذاته يصرخ مع الجزائر لبيشر الصديق والرفيق ويهدد العدو بما ينتظره من خذلان وانهزام .

⁽¹⁾ أنور الجندي. أدب المقاومة والتجمع في الأدب العربي الحديث. مجلة دعوة الحق. العدد الخامس. فبراير 1963 ص 57.

⁽²⁾ المصدر نفسه. ص 57.

اطلق النار او فسل الحساما
 هم ارادوا ان لا يقرروا السلاما
 وامتنظ الادهم المظهم او فاسم
 وامتظ الادهم المظهم او فاسم
 واملا الفاب من زئيرك كاللي
 يهز الهضاب والاجاما
 رخض الموت نائرا عريبا
 ابن اسد ماتوا اباة كراما
 وادرها على البقاة كؤوسا
 مترعات مرارة وزؤاما
 وارمها من بنادق الله نارا
 كالنيازيك تحصد الاجساما
 ارمها يا فتى الجزائر نارا
 تسكن الذاعر الاييم الرجاما
 ارمها : ارمها مواكب للموت ، وللشك ، تقطع الارحاما
 تتحرى القلوب مرمى ، وتفري
 وهي تسري - عن الرؤوس الهاما
 واسق ارضا قد تان قبلك اجساد
 داد سقوها دعاهم ان تضاما
 لم يرعك العدو يفتك بالشه
 ب ويسبي النساء والاياما

(1)

لقد ألقى الشاعر الجزائري صالح خرفي قصيدة عنونها بـ " تحية الجزائر " بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة لمؤتمر أدباء العرب بالكويت بتاريخ 20 ديسمبر 1958 وهي تعكس رسالة أخوية موجّهة من قلب الجزائر المكافحة إلى أشقائها العرب من المحيط إلى الخليج

- من منبر (الأوراس) حي المجمعاً * فالضاد والرشاش قد نطقا معا
- فانظر هنا تجد البطولة منبرا * وتر البطولة في الجزائر مدفعا
- لم ترو غلتنا المنابر، فارتقي * لنا لخطابة (أطلسا) متمنعا
- تلك الذرى كم زمجرت برصاصها * فأرت لنا منه الخطيب المصقعا
- قم موطأة المتون لثائر * روى صنوبرها دما فتفرعا⁽²⁾

⁽¹⁾ محمد الحلوي. صرخة الجزائر. المصدر نفسه. العدد 11. ماي سنة 1958. ص 20

⁽²⁾ صالح خرفي. تحية الجزائر. المصدر نفسه. العدد 7. أبريل 1959. ص 66.

قد يلمح الدارس في هذا المقطع الشعري مظهر البطولة عبر رموز الطبيعة التي تفسّر وتعرّف بمهد الثورة الجغرافي والتاريخي، فذكر الأوراس صار من وجدان الأمة العربية على حد تعبير عبد الله الركيبي⁽¹⁾ والاحتفاء بثنائية (الأوراس والأطلس) ما هو إلا ترسيخ وضع التضامن الذي يجمع بين شعوب الأمة الواحدة التي تشترك في مصير واحد محتوم يتمثل في محاربة الاحتلال بالسيف والقلم كما هو حال الجزائر والمغرب وهي تكابد ويلات المغتصب الفرنسي.

وقد لا نتفاجأ من تكرار هذه الرمزية الثورية التضامنية بين الجزائر والمغرب بلغة الطبيعة تبعا لما كشف عنه العدد التاسع من مجلة دعوة الحق المؤرخ بشهر جوان 1959 عبر قصيدة نضالية أخرى عنوانها "يوم الجزائر" لشاعر جزائري اسمه أبوعبد الله صالح الجزائري.

حي في (الأطلس) الأشم رجالا * بهم صال في الكفاح وجالا
صنعتهم يد الظلوم، وقدا صن * مع الظلم قادة أبطال
ثورة في الظلام أعلنها الشعب فبات * ت بها الليالي حبالى
ومواليها مواقف أحرار * تفانوا بسالة ونضالا⁽²⁾

إنها تحية لأبطال ورجال المغرب الذين عقدوا خيارهم بمساندة الثورة الجزائرية بالنفس والنفيس بعنفوان واستماتة لقهر عدو واحد اسمه فرنسا، كما لا يفوت هذه

⁽¹⁾ عبد الله الركيبي. الأوراس في الشعر العربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط 1983. ص 11.

⁽²⁾ أبو عبد الله صالح الجزائري. يوم الجزائر مجلة دعوة الحق. العدد 9. جوان 1959. ص 63.

المجلة المقاومة أن تتوه بأبطال الجزائر وشهدائها الكبار من أمثال العقيد عميروش وهي صادرة من الشاعر المغربي والعلامة الفقيه إدريس الكتاني تتطلق قصيدته بكل بساطة و مع روعة أدبية مختزقة النسيج العمودي ذو الشطرين يقول فيها:

« أرض الجزائر الجميلة ،أرض أجداده

لم تعد أرضه

وملكه

لم تعد تطعمه . وتأوي أهله

لم تعد تعرفه

وتكرمه

لم تعد تضحك في وجه أبنائه

قد تجهمت لهم

وأنكرتهم»⁽¹⁾

إنه يصنع خطابا مجازيا على منوال يجعل الأرض التي يعيش عليها تنتكر لها إذ أنها حرمته رُفقة أبناء شعبه من خيراتها ونسيم حريتها غير أن المقصود

⁽¹⁾ إدريس الكتاني. عميروش في موكب الخلود. المصدر نفسه. العدد 8 ماي 1959 ص

الفعلي هو المُستوحش الفرنسي الذي حوّل أرض الجزائر إلى مسرح استغلال واحتقار وجبروت على أبناء هذه الأرض الخيرة

ترى الشاعر يسخر من المستعمر بحضارته الزائفة وقيمه المغرية وفي الوقت نفسه يتحدث عن مأوى هذا البطل دون فلسفة ولا نظرية إنها عدّته العسكرية هي سبيل رحيله وترحاله وفي شأنها يقول:

« هم يرونها حضارة إنسانية و مدنية

رأها أنانية

وعنصرية

فرّ منها هاربا إلى الأدغال و الجبال

ينشد الحرية

والسلام

يفترش التراب الطاهر، ويتوسد الحجر

يتغطى بالبندقية

والرصاص»⁽¹⁾

وفي نهاية قصيدته يتطلع إلى تمجيد وقع استشهاده بعد أن نال من المستعمر ما أراد انتصار وحرية واستشهاد:

⁽¹⁾ المصدر نفسه. ص 61.

« دَوَّخ جيشا ضاقت الأرض به والسماء

حطم قوته

وأمله

فكم تهاوت طائراته في الفضاء

يغمرها الدخان

والنيران

وكم تناثرت أشلائه في العراء

تنهشها الذئاب

والغريان»⁽¹⁾ ويختم بأروع ما تعبر عنه القصيدة:

« كلا. لن تمنعوا الجزائر من الاستقلال

وفي أرضها أبطال

وأنصار

شيوخ وشباب، نساء وأطفال

أحرار أبناء الجزائر

وثوار

⁽¹⁾ المصدر نفسه. ص 61.

سنواصل زحفنا المقدس إلى النصر

صا وراء صف

كالجبال

عمروش إن مضى إلى الخلود باسمنا

بعد جهاد طويل

وعنيف

فإنما يلحق بآلاف من إخوانه

صانعي تاريخ وطنهم

بدمائهم

ومن أرض أجدادهم شقوا طريق الحياة

لمجد الجزائر الخالدة

لعروبتهـا»⁽¹⁾

لن تمرّ هذه المقاطع الشعرية الثورية بمعزل عن شجاعة المرأة الجزائرية في رمز جميلة بوحيرد كي تحكي مناقبها ومظاهر انتفضاتها على لسان ما ورد من الشاعر عبد الله السعداني على نسق حوارى متجاوب بين صوت المجاهدة بوحيرد وهي تعلن بأناتها أنها من عمق ثورة الجزائر الصامدة المتمردة ولعل من

⁽¹⁾ المصدر نفسه. ص 62.

فنية هذا الشاعر المبدع أنه رسم لنفسه موضعا في قصيدته ليس من موقع الناظم لها فحسب وإنما من موقع المتورط المباشر والمناصر غير المحايد لبسالة هذه المرأة دون قيد ولا شرط بالنفس والنفيس وهو ما يمكن التماسه في هذه القصيدة التي نفضل صياغتها بالكامل حتى لانقضي على حواريتها السجية والندية:

«جميلة»

- هذه ذاتي

خطوط سوداء

وأخرى حمراء

تحدثكم في صمت

عن فظاظة القراصنة

وسياط الجلادين

*

هذه ذاتي

غصن ذوى

بعيدا عن دفء الشمس

أروي تراه بدمعي

ومن سيل جراحي

أغذي أوراقه

*

هذا دمي

أهدره يا جلاذ
أنه المداد الأزلي
سيخط في أمجد صفحة
صك الحرية
لبلاذي؟
هذا قلبي
فجره يا جلاذ
انه فيض جارف
سيجتاح وجودكم
سيغسل أرضي
من عار القياصرة الأقرام
هذه أنا
جميلة
سأظل واقفة
ولو جمدت
سأظل مجاهدة
ولو فنيت
سأظل منتصبة
وسوف لا أفر على الأرض؟
سأنادي
وأعيد النداء
حتى يستيقظ المجد

النائم في كنه الضمائر
سأصرخ
حتى تتردد الدنيا
صدى صياحي ملء الحناجر
*

وإذا خنقوا أنفاسي
سألوح بأجنحتي المهيضة البيضاء
سيحمل إليكم حفيفها رجع قلب
يعالج بقية ذماء
*

وهكذا سأعيش
رعشة في فم الزمن
عارا في وجدان الحياة
ولعنة في جبين التاريخ
تاريخ أحفاد «جاندارك»
وأبناء (روسو) و(ميرابو)
لا لن أفنى "يا سوستيل"
لن أموت «ياماسو»
سأعيش لأشهد الشعاع
يسكب النور في جراحي
وجراح أبطال بلادي
ويتطاير شرارات

لیحرق أعداء السلام
فی بلادی.؟
حتى اسمع الصوت الرخیم
سأبقى
بجلجل فی الفضاء
ویرسل النداء
تلو النداء:
لیبک یا جمیلة
لیبک
أنا الحریة؟
مدى فی ساح الوغى
ألسنة اللظى
وأحر فی أسداف اللیل
حتى یموت الظلام؟
وتتجلى غرة الفجر
على قمم الأوراس
محورة الضیاء ؟
جمیلة...

الشاعر

رددی أغنیة اللهب
أنك ثأر یثور
ترنمی بأنشودة البقاء
فالغد القرب

بين طبات أكمام الزهور.

ارقصي... واروي للورى

حكايات القيود

يا هزاز الشدو

عن لحن الخلود ؟

جميلة...

غدا في الشفق

ستعودين

ويعود الرفاق

سندوس السدود

وتعبث بالحدود

لنشيد وحدة إفريقيا

إفريقيا لنا

ولسنا اليوم فيها بالعبيد»⁽¹⁾

إن من أثر هذه النصوص من حيث موضوعاتها وأصحابها وموضع نشرها كلها مؤشرات واضحة إلى ما يمكن لكلمة ثورة أن تفعله في النفوس بمنطق التحرر من الاستعمار بجميع الخيارات المشروعة المتاحة رحم الله شهدائنا الأبرار.

⁽¹⁾ عبد الله السعداني. مجاهدة. المصدر نفسه.. العدد 10 جويلية 1959. ص 131-132.

خاتمة :

لقد أثبتت هذه المحاور كيف تمّ التعامل مع الثورة الجزائرية باعتبارها ثورة متفردة وعملاقة عالميا وإسلاميا وعربيا، فأفصحت بذلك عن صورة التلاحم المغاربي ضمن المنظور السياسي والثقافي والأدبي في مواجهة الاحتلال الغاشم عبر الكتابة الصحفية المقاومة ضمن إحدى المجلات المغربية العريقة مجلة دعوة الحق وفي ثنايا هذه المجلة ظهر الصوت المغربي والتونسي والموريتاني قصد إبراز المواقف السياسية الشجاعة والمحافل الثقافية والأدبية ذات التوجه النضالي كما كانت السبيل المشروع لظهور أصوات جزائرية عديدة كانت حينها في ثمره شبابها على نحو مالك بن نبي؛ صالح خرفي؛ عبد الله الركيبى رحمهم الله جميعا، وعليه سيبقى هذا المعلم الصحفي صفحة خالدة ومُشرقة في تاريخ نضال المغرب العربي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- مجلة "دعوة الحق". مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط.
- 2- دنيس كوش. تر: منير السعيداني. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. المنظمة العربية للترجمة بيروت ط 1 مارس 2007.
- 3- مجلة "الثقافة" وزارة الثقافة. الجزائر.
- 4- عبد الله الركبي. الأوراس في الشعر العربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط 1983.
- 5- Jean Dubois et autres. Dictionnaire du Français contemporain-Larousse- Ed Librairie Larousse Paris 1980. p685.